

أعيد مفاتيح الكهرباء ، إلى موضعها ، أفتح النوافذ المتقابلة ينفذ الهواء ، لا أدري هل تبدد الرائحة أو أنني أعتادها فلا أشمها ، لكنني في كل الأحوال لا أرغب استنشاقها .

متى سمعت صوتها أول مرة ؟

لا يمكنني التحديد ، ربما جرى ذلك أثناء زيارتي الأولى أو الثانية ، كنت أعمل على ما أوصتني أختي به . فتح النوافذ ، خاصة الشرفة ، أدير المذياع بصوت مرتفع ، إحياء لآخرين مجهولين أن الحياة لم تنقطع . وأن ثمة وجوداً قائماً . أن البيت عليه رجل . رغم أنه لا يحوي إلا قطعاً قليلة من الأثاث ، ما يحويه المطبخ عدا الثلاجة التي باعته والغسالة الكهربائية قديمة الطراز ، ومذياع صغير .

يخشى زوجها اقتحام اللصوص ، أوصاني ألا أنقطع ، أن أتردد بانتظام في خطاياتهما سطور توصي بالذهاب ، بالتأكد من إغلاق مفاتيح الغاز والكهرباء عند الإنصراف ، وصنابير المياه ، أن أوصي الباب وأن أكرمه .  
ربما أثناء زيارتي الثانية رن جرس الهاتف ، تطلعت إليه ، من يعرف بوجودي ؟ ربما أحد أصدقاء زوج أختي ، أو إحدى صديقاتها . استفساراً أو جهلاً بسفرهما ، رفعت السماعة ، فوجئت بصوتها ..  
- أهلاً وسهلاً ..

لن أنسى أول مرة ، إيقاعه المتمهل ، دلال الأثني التي بلغت من العمر عتياً ، قالت في البداية إنها جارة قريبة ، تسكن نفس الشارع ، ضحككت ، عمرها سبعة وستون عاماً ..

- يعني مثل والدتك ..

قلت مجاملاً ، ودهشة عندي لا تخفى :

الله يعطيك العمر ..

قالت إنها عجوز ، لكنها نشيطة جداً ، لها ماضٍ طويل في خدمة المجتمع والنشاط السياسي . إنها راغبة في التعرف ، ومناقشة أمور الحي ، تود وضع